

الفصل الثاني

الإطار النظري

المبحث الأول : سيكولوجيا الأدب

أ. مفهوم السيكولوجيا

ظهر اسم السيكولوجيا منذ القدم، فالسيكولوجيا أو يسمى بعلم النفس (*Psychology*) تتركب من الكلمتين اليونانيتين هما *psyche* بمعنى الروح أو العقل، و *logos* تعني العلم أو الدراسة، إذا فالسيكولوجيا يعني علم يبحث عن النفس من أنواعها المختلفة أو عملياتها أو خلفيتها.¹ وبعض المفاهيم أساسا يبحث عن أحوال الانسان إما استجابتها الى البيئة أو أعمالها أو أفكارها أو إرادتها أو حسيته، فيمكن القول أنّ السيكولوجيا علم يبحث عن سلوك الانسان الذي يتعلق ببيئته. وهذه هو المفاهيم عن السيكولوجيا² :

1. *Herbert S.Langfeld و Edwin G.Boring*

السيكولوجيا هي دراسة عن حقيقة الانسان

2. *Garden Murphy*

السيكولوجيا هي علم يبحث عن إستجابة التي يعطيها

المخلوقات الى بيئتها

3. *Marquis و Woodworth*

السيكولوجيا هي علم يبحث عن أعمال الأفراد من المهد الى

الحد في علاقتها بالعالمي

¹ Mas'an Hamid, sosiologi sastra, psikologi sastra dan resepsi sastra, (Surabaya: Penerbit Alfa, 2006) hal 81

² نفس المرجع ص ٨٢

السيكولوجيا هي علم يبحث عن الإختبارات الظاهرة من نفس

الانسان مثل الشعور الحسية، أفكار، العواطف والإرادة

عرف علم النفس بأنه الدراسة الأكاديمية التي تهتمّ بالبحث في إدراك

الإنسان وآلياته والسلوك البشري وتطبيقات البحث في ذلك السلوك،

ويمكن تطبيق الدراسات النفسية على غير الإنسان كالحوانات والأنظمة

الذكية، ومن أشهر تطبيقات علم النفس معالجة مشاكل الأفراد اليوميّة

والمجتمعيّة بما في ذلك الأمراض العقلية.

أهداف علم النفس ترتبط أهداف علم النفس بتعريفه؛ حيث إنّ

دراسة السلوك الإنساني أو الحيواني تهدف إلى التنبؤ بالسلوكيات المستقبلية

لمواضيع الدراسة والتحكّم في تلك السلوكيات، وتُساعد نتائج أبحاث علم

النفس على فهم طبيعة التفكير البشري وكيفية تطوير أنماط التفكير

المختلفة، واستثمار الوقت المخصّص للبحث والدراسة والتحليل في الحصول

على أفضل النتائج، وتصب تلك الأهداف في محاولة تطوير الإنسان ذاته

من خلال تطوير الحياة والعلاقات المتبادلة بين البشر مع بعضهم البعض،

كما امتدّت تلك التطبيقات إلى تطوير أنظمة الذكاء الاصطناعي وتحسينها

حيث تتناسب مع الطبيعة البشرية وتكون في خدمته .

مبادئ البحث في علم النفس تنقسم أبحاث علم النفس إلى ميدانين

أساسيين هما؛ النظري والتطبيقي، وتندرج تحتها كلّ فروع علم النفس

المعروفة بما في ذلك الفروع التي تتداخل فيها الأبحاث النظرية مع الأبحاث

التطبيقية، والفروع النظرية الرئيسيّة في علم النفس هي علم النفس التجريبي؛

وهو فرع يدرس القدرات الحركية والإدراكية للفرد، كالإدراك البصري

والسمعي والعقلي، وعلاقة كلّ منهم بالاستجابة وطبيعتها من حيث السرعة

والصحة، وعلم النفس الفسيولوجي؛ ويهتم بدراسة سلوك الإنسان من خلال علاقته بالعمليات الحيوية، كذلك علم نفس النمو الذي يدرس تطور شخصية الإنسان من الميلاد وما قبله إلى الشيخوخة، وأخيراً علم النفس الاجتماعي، ويدرس تأثير المجتمع على سلوك الفرد من خلال العلاقات الاجتماعية والثقافة العامة، ودراسة السلوك الفردي في المجتمع.

أما الفروع التطبيقية من علم النفس فتتقسم إلى علم النفس التربوي، ويهدف إلى دراسة طبيعة التعلم في الإنسان، وكيفية التحصيل الدراسي بهدف تطوير العملية التعليمية، وعلم النفس الصناعي الذي يُطبّق نتائج أبحاث علم النفس المختلفة في مجال تطوير العمل الصناعي بهدف رفع الكفاءة وزيادة الإنتاج الصناعي.

ب. مفهوم الأدب

الأدب لغةً : ذكر ابن منظور، أن الأدب مأخوذ من الجذر الثلاثي (أ-د-ب) ^٣. والأدب هو الذي يتأدّب به الأديب من الناس، سمي أدباً لأنه يأدّب الناس إلى المحامد و ينهّاهم عن المقابح، و في الحديث عن ابن مسعود " إن هذا القرآن مأدبة الله في الأرض فتعلموا من مأدبته "، و تأويل الحديث أنه شبه القرآن بصنيع صنعه الله للناس، لهم فيه خير ومنافع، ثم دعاهم إليه . ^٤

الأدب اصطلاحاً: رأى ستيفورد برك - نريد بالأدب أفكار الأذكياء و مشاعرهم مكتوبة بالأسلوب يلذ القارئ، و هذا القول قد عني بناحية الجمال في الأداء ليعث اللذة في نفوس القارئين. ^٥

^٣. ابن منظور، لسان العرب، ج ١ ص ٤٣

^٤. أحمد شايب، أصول النقد الأدبي.... ص ١٤.

^٥. نفس المرجع ص ١٧.

والأدب كما شرح الباحث سابقا، أنه لا يقوم إلا بأربعة عناصر، فما هي؟ لا يقوم إلا بأكملها معا وهي العاطفة والخيال والمعنى والأسلوب. فهذه العناصر موجودة في جميع الأعمال الأدبية، بأجناسها المختلفة و في عصورها المتباينة، ولا بد من وجودها كي يسمى العمل أدبا، غير أن نسبة وجود تلك العناصر تختلف من جنس أدبي إلى آخر، ومن عمل أدبي إلى آخر، وستحدث عن كل نوع من ذلك حديثا مختصرا يلم بأهم خصائصه ووظائفه في العمل الأدبي. فهذا الشرح للعناصر الأربعة :

١. العاطفة :

رأى أحمد شايب ان العاطفة هي القوة التي يثيرها الأدب فينا نحن القراء^٦. و هي بمعنى آخر انها حالة وجدانية يشترك الناس فيها جميعاً، كالحزن أو الفرح أو الخجل... إلخ، والإنسان دائما يتقلب في عواطفه ولا يمكن أن تمر عليه لحظة دون عاطفة.^٧

٢. الفكرة (العقل او الحقيقة) :

رأى أحمد شايب انها هي الصواب الذي يعد أساسيا في جميع الآثار الأدبية القيمة، فقد علمت ان الأدب وجب عليه أربعة عناصر و هي العاطفة و الخيال و الفكرة و الصورة. كذلك انها سنداً و عوناً لغاية الشعر او النثر الفني الأولى هي العاطفة. فإن تكون الحقيقة الغاية الأولى فالعاطفة وسيلة تبعث في الحقيقة روعة و تكسب الإنشاء صفة أدبية محبوبة^٨.

^٦. نفس المرجع، ص ١٨١

^٧. عبد القدر أبو شريفة وزميله . مدخل إلى تحليل النص الأدبي، (عمان : دار الفكر ١٩٩٠) ص ٢٥

^٨. أحمد شايب، أصول النقد الأدبي ص ٢٢٤

٣. الخيال:

هو القدرة التي يستطيع العقل بها أن يشكل صوراً للأشياء أو الأشخاص أو الوجود.^٩ فإذا قال شخص: (رأيت بستاناً به أزهار) شعرنا بأنه خبر عادي ليس فيه ميزة عن بقية الكلام المؤلف، ولكن الأديب حين يصف ذلك المنظر يقدم لنا هذا الوصف في خيالات كثيرة تثير في شعورنا تجاوباً فنياً نحوه وتجعل الخبر قيماً.

هناك علاقة قوية بين الخيال و العاطفة في النص الأدبي، لأن الخيال هو الوسيلة التي تلجأ إليها العاطفة للتعبير عن نفسها حين تعجز العبارات الأخرى دون تحقيق هذه الغاية الأدبية.^{١٠}

٤. الأسلوب :

هو الصياغة أو طريقة التعبير أو القلب الذي تصب فيه الكلمات والجمل ، ولكل أديب أسلوبه بل لكل أديب معجمه اللغوي الخاص.

ونحن إذا استعرضنا اللغة الأدبية لشخص وجدناه يميل إلى لغة خاصة وألفاظ يستعملها ويقف عندها وهذه الألفاظ تفصح عن ذهنه وعقله ، وتعبر عن نفسه وحسه وهذا هو ما جعل بعض النقاد يقول: (إن الأسلوب هو الشخص) أي أنه روح الكاتب وعقله.

^٩ . عبد القدر أبو شريفة وزميله ص ٣٩

^{١٠} . أحمد شايب: أصول النقد الأدبي..... ص ٣٣

ج. علاقة السيكلوجيا بالأدب

سيكلوجيا الأدب لها أربعة تعريفات. فالاول دراسة سيكلوجية المؤلف، والثاني دراسة عملية الإبتداع، والثالث دراسة انواع واحكام السيكلوجية المطبوعة في الإنتاج الأدبي، والرابع سيكلوجية القراء. وأما الأدب مرآة النفس لانه يقوم على اربعة عناصر وهي العاطفة والخيال والمعنى والأسلوب. فمن هنا، نجد سمات علاقة السيكلوجيا والأدب لكننا لابد أن نهتم بعض العوامل منها أنّ الإنتاج الأدب لزم عليه أن يصور القوة والنتيجة والعلم عن مؤلفه كما قاله Christopher Marlowe. ثم أنّ الإنتاج الأدبي لابد له مميزات في الأسلوب ونظم اللغة بأنه آلة لتصوير الفكرة وشعور المؤلف. كذلك لابد أن تتعالق بين اسلوب الإنتاج الأدبي وانظمته وموضوعه بأشياء التي تصور الفكرة وشعور الأفراد مثل الأمانة الأولى والإرادة وشهوة النفس والفرح والكره التي تعطى التسلسل واستمرار للشخصية. ورأى عبد الرحيم العطري¹¹ بعد تجاوز مرحلة إثبات الجدوى و المشروعية المعرفية ، صارت السوسيولوجيا تقدم نفسها خلال القرن العشرين، كفروع تخصصية قادرة على مواجهة مختلف تضاريس المجتمع بآليات الدرس و التحليل . فما من حقل مجتمعي إلا صار مستهدفا من قبل السؤال السوسيولوجي ، و في ذلك تأكيد على حساسية و أهمية السوسيولوجيا كمعرفة تتسم من جهة بالحذر الإبتيمولوجي الذي يفترض الصرامة القصوى في تسييج المواضيع ، و من جهة ثانية بسعة الصدر و شساعة دوائر الانشغال ، فالسوسيولوجيا تقترح نفسها كمعرفة لتفهم مختلف الظواهر الاجتماعية و في جميع مظهراتها و سياقات انبنائها.

¹¹ <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=79281> 11/04/2017 15:04

في هذا الإطار ستلوح سوسيولوجيا الأدب كفرع من السوسيولوجيا العامة ، تنشغل بالضرورة بكل ما له علاقة بالإبداع الأدبي ، سواء في علاقته المفترضة مع المجتمع أو في تحليل و تتبع شروط إنتاجه و إعادة إنتاجه في الأنساق المجتمعية ، فالأدب و الأديب تحديدا لا يكون بمعزل عن الفعاليات و الظواهر و الحركات التي تعتمل في رحاب المجتمع ، بل يوجد في كثير من الأحيان على خط التماس معها ، فليس هناك من أدب منفصل عن شروط المجتمع الذي يتأسس فيه ، و هذا ما يدفع فعلا إلى مساءلة الأديب و القاريء المفترض و الأثر الأدبي بآليات السوسيولوجيا.

فقيم تفيد سوسيولوجيا الأدب ؟ و هل من حاجة قصوى إلى هذه السوسيولوجيا التخصصية ؟ ماذا عن دوائر الانشغال و آليات الاشتغال ؟ ماذا عن الحصيلة و التراكم المعرفي في هذا الباب ؟ و إلى أي حد ساهمت سوسيولوجيا الأدب في خدمة الأدب أو بشكل عكسي في الانقلاب عليه ؟ في الجنيالوجيا إن المبرر العلمي لميلاد هذا النوع من السوسيولوجيا ينبز بامتياز في " اجتماعية " الأدب ، لأنه نتاج خالص لفعل مجتمعي ينتجه فاعل اجتماعي محدد و يتوجه به إلى فاعلين آخرين في سياقات اجتماعية محددة ، فالاجتماعي حاضر بقوة في جميع مراحل " الدورة البيولوجية " للعمل الأدبي. لهذا كان من الضروري أن تهرع السوسيولوجيا إلى تكريس جهودها العلمية في إطار هذا الفرع التخصصي من أجل دراسة تنظيم و وظيفة المؤسسة الأدبية في المجتمع و تحليل العلاقات القائمة بين العمل الأدبي و المجتمع الذي يولد فيه هذا العمل و يمتح منه أيضا. إن ظهور سوسيولوجيا الأدب هو محصلة نهائية لتراكم عدد من الدراسات و التحليلات الما قبل سوسيولوجية ، فمن الضروري أن نميز بين سوسيولوجيا الأدب كفرع سوسيولوجي خالص يؤسس حضوره و اشتغاله على البراديغم السوسيولوجي،

و بين الأعمال الما قبل سوسيولوجية التي اهتمت بالأدب و هذه كثيرة للغاية ، و تقع على خطوط الاتصال مع كثير من الأعمال اللسانية و النقدية. ويمكن اعتبار أعمال الإيطالي فيكو من الكلاسيكيات المرجعية و المؤسسة لهذا العلم ، ففي كتابه " مبادئ العلم الجديد " الصادر سنة ١٧٢٥ حاول الباحث أن يبين العلاقات القائمة بين المنتج الأدبي و النسق الاجتماعي الذي ينتج فيه هذا الأدب ، مؤكدا على أن كثيرا من الأنواع الأدبية ما كانت لتظهر لولا السياقات و الشروط الاجتماعية المرتبطة بها فالملاحم بالنسبة إليه ارتبطت بالمجتمعات العشائرية ، و المسرح ارتبط بمجتمع المدينة الدولة ، و الرواية ارتبطت بظهور المطبعة و انتشار التعليم. ومن جهة ثانية يمكن اعتبار كتاب " الأدب في علاقته بالمؤسسات الاجتماعية " لدي ستايل من الأعمال الممهدة لسوسيولوجيا الأدب ، فقد أبرزت في كتابها هذا جدل التأثير و التأثير القائم و المستمر بين الأعمال الأدبية و الشروط التاريخية والاجتماعية معتبرة أن كل عمل أدبي يتغلغل في بيئة اجتماعية وجغرافية ما، حيث يؤدي وظائف محددة بها، ولا حاجة إلى أي حكم قيمي، فكل شيء وجد لأنه يجب أن يوجد هكذا تواصلت التصورات و المفاهيم حول الأدب و المجتمع إلى غاية انتعاش حركة النقد الأدبي بحلول القرن التاسع عشر ، مع ما رافق هذا الانتعاش من تعدد مقارباتي في تناول و تحليل و تذوق الأدب أيضا ، حيث ستكتف علوم و معارف عديدة كل جهودها من أجل تفهم و تحليل الأدب ، بدءا من الأدب ذاته في إطار فروعه التي تعني بالنقد و التحليل الأدبي ، إلى اللسانيات و السيميولوجيا و علم النفس و الأنثروبولوجيا و التاريخ. في هذا الإطار ستجد السوسيولوجيا نفسها مطالبة بالإجابة عن أسئلة العمل الأدبي في علاقته مع الشروط الاجتماعية ، و بذلك فسوسيولوجيا

الأدب سوف لن تخدم الحقل الأدبي فقط بتقديم خلاصات حول شروط إنتاجه و إعادة إنتاجه ، بل ستخدم براديعمها الخاص ، عبر تدشين مداخل جديدة لقراءة المجتمع من خلال منتوجه الأدبي ، و هو ما يفيد علميا و عمليا في فهم و تفهم الأنساق المجتمعية.

ما الأدب؟ لكن قبلا ما الأدب؟ ما الذي يعنيه هكذا موضوع في رحاب العيادة السوسولوجيا؟ و علام يؤشر كقيمة و ممارسة أيضا؟ البحث عن مدلول كلمة الأدب عبر المعاجم سيفضي بنا إلى تعاريف لا يمكن حصرها بالمرّة، ففي لسان العرب نجد كلمة أدب تشير إلى " الذي يتأدب به الأديب من الناس، سمي أدبا ، لأنه يؤدب الناس إلى المحامد، وينهاهم عن المقابح أما القاموس المحيط فيؤكد على أن الأدب يعني الظرف وحسن التناول . و من الناحية الاصطلاحية فالأدب يدل على فن من الفنون وسيلته اللغة ، بل هناك من اعتبره مؤسسة اجتماعية، أداها اللغة.

فالأدب في البدء و الختام يظل لغة إبداعية تتوسل بتقنيات و آليات للتعبير عن فكرة ما ، بمعنى أن سؤال الغائية يظل حاضرا في جميع مستويات هذه اللغة ، سواء بالانفتاح على ما هو ذاتي صرف أو ما هو مجتمعي عام ، فما من أدب إلا و ترقد وراءه مجموعة من الخلفيات و الغايات المحركة لفعالياته و تكويناته المفترضة . إنه من الممكن جدا "إطلاق "الأدب"، من وجهة نسبية ، على مجموع الكتابات ، التي يتخذها مجتمع و زمن ما أدبا له، و بالطبع فتوصيف كتابة ما أدبا و نزع هذه الصفة عن أخرى تتحكم فيه بالضرورة أبعاد الحكم الجمالي ، الذي تسطر بإتقان تام داخل النسق الإبداعي المحلي ، علما بأن قواعد التوصيف و التصنيف هاته تتعرض بدورها للتحول و التغير ، اتصالا بالتغيرات التي يعرفها النسق العام.

لكن هذا لا يعني أن الأدب يتوقف على المكتوب فقط ، فهناك الأدب الشفاهي و الشعبي المتواتر عبر الأجيال ، بما يعني أن الانكتاب ليس شرطا نهائيا و وحيدا لتوصيف الأدب . و بالمقابل فالشرط الوجودي للأدب هو الاتجاه الجمالي و الفني ، فما لم يكن المكتوب أو المنطوق حائزا على درجات معينة من الجمالية و الفنية الإبداعية ما أمكن وضعه أو تجنيسه أدبيا.

فالأدب نشاط إنساني معبر عن الفعالية الاجتماعية و الثقافية للمجتمع ، و معبر في الآن ذاته عن مختلف الديناميات التي تعمل في رحاب هذا المجتمع وفقا لأساسيات درس سوسيولوجيا الأدب ، التي لا تستهدف علوم الأدب المتصلة باللغة و النحو و الصرف و البلاغة .. بقدر ما تتوجه على فنونه و أجناسه كالشعر و القصة و المقامة و المقالة و الرواية ... بغرض الوصول إلى الشروط السوسيوسياسية لإنتاج الأدب.

بين الأدب والمجتمع قائمة بالفعل و بالقوة، فالأدب لا يكون أدبا إلا في ظل شروط اجتماعية محددة، فالأديب المنتج للعمل الأدبي، هو في البدء و الختام فاعل اجتماعي قادم من مجتمع معين. و المتلقي المفترض لهذا المنتج الأدبي / الاجتماعي هو فاعل اجتماعي آخر ، و النسق العام الذي يحتضن هذه العملية يظل هو المجتمع بفعالياته و أنساقه الفرعية الأخرى.

فعلى مستوى حقل الاشتغال يتأكد واقعا بأن هذا الحقل يتم بالنسبة للأديب والأدب و المتلقي على صعيد المجتمع، فالأدب مشروط من حيث إنتاجيته وتداوليته بوجود المجتمع ، و إلا ما أمكن " تقديره " واعتباره أدبا . أما على مستوى آليات الاشتغال و مولداته ، فإن الاجتماعي يلعب دورا بالغا في إنتاج الأدب و بلورة الرؤى و المسارات المؤطرة له . وإن كان أنصار التحليل النفسي يذهبون إلى الربط الصارم بين العملية الإبداعية الأدبية وبين العناصر السيكلوجية ، فإن الدرس السوسيولوجي يلح على التداخل و

التشابك بين عدد من العناصر النفسية والاجتماعية والسياسية والثقافية في صناعة الأدب، وهي عناصر يمكن إجمالها في سؤال " المجتمع " لعملية الإنتاج الأدبي والإيديولوجي لا تنفصل بالمرّة عن العملية الاجتماعية العامة.

فالأدب ليس نتاجا خالصا لما هو نفسي كما يلح على ذلك أنصار التحليل النفسي ، و الذي يذهبون إلى حد الربط بين بعض الأمراض النفسية والنزوع نحو الكتابة ، بل هو محصلة نهائية لتداخل عوامل مجتمعية يحضر فيها النفسي والجمعي والتاريخي، بمعنى أن الأدب ملازم للأدب في شروط الإنتاج وتفصيله أيضا . فالأدب لا يمكن أن ينفصل عن سياقه المجتمعي ، فكل نص أدبي ليس سوى تجربة اجتماعية ، عبر واقع و متخيل وبالرغم من كل المسافات الموضوعية التي يشترطها بعض الأدباء لممارسة الأدب، فإن المجتمع يلقي بظلاله على سيرورة العملية الإبداعية ، بل ويوجه مساراتها الممكنة في كثير من الأحيان ، فلا أدب بدون مجتمع ، ولا مجتمع بدون أدب، فكل مجتمع أدبه ولكل أدب مجتمعه الذي ينكشف من خلال نصوصه ورواياته الشفاهية.

المبحث الثاني : العاطفة

ومن أهم عناصر الأدب عاطفة، وما هي؟ فقال أحمد شايب في العاطفة بقول "أول ما أسير اليه اليه أن كلمة *emotion* الانجليزية يقابلها في العربية كلمة انفعال ولكني أثرت كلمة العاطفة لشيوعها على الألسن في الداسات الأدبية، ولقربها من معنى الإنفعالي^{١٢}. ومن رأي ابراهيم أنيس في قضية العواطف فقال هي أي العواطف أسباب القرابة أو الصلة من جهة الولاء والشفقية، وفي العلو النفس إستعداد نفسي يتزع بصاحبه إلى الشعور بإنفعالات معينة والقيام بسلوك خاص وخيال وفكرة أو شيء^{١٣}.

^{١٢} أحمد شايب، أصول النقد الأدبي ... ص ١٨٠

^{١٣} ابراهيم أنيس، المعجم الوسيط، الطبعة الثانية، ج ١ ص ١٠٨

ذكر أحمد شايب العاطفتين من العواطف الأدبية هما العواطف الشخصية والعواطف الأملية. فالأولى هو العواطف التي تحملنا على الدأب وراء صالحنا الخاص كالجشع أو الفرار من الميدان أو الانتقام أو المدح رجاء النوال، فهذه ليست من الإنفعالات الأدبية السامية التي يحرص عليها النقد لأنها تحيا في دائرة ضيقة هي دائرة المنتفع ثم تحمل النفس على الأثرة والهوان، فالمدح على جميل خاص أو على إحسان نلته لا يكون كالمدح الذي يتجه الى الإحسان في ذاته أو الى المحسن باعتباره فاضلا إنسانيا، دون العناية بنفسه، ظفرت بشيء أولا.

والثانية هو العواطف التي تثير آلام القراء وتشعرهم بما ينفص حياتهم ويكدر صموها كالحسد والسخط واليأس والظلم ونحوها لأن وظيفة الأدب الرفيع يغلب عليها التهذيب النفسي، وإذاعة السرور لا البؤس والتبرم، ولعل ذلك من وظيفة الفنون الجميلة كلها.

وكيف نعرف العواطف التي قام الأدب منه؟ فيينا الدكتور عماد عبد الرحيم وعلي فالح أن العواطف لها طبيعة فقلا "تتضمن العواطف استجابة آلية للمواقف المختلفة، وغالبا ما تكون لا إرادية، وهي غير خاضعة للتحكم الشعوري، والعواطف تحفز العضوية وتجعلها جاهزة للاستجابة، حسب مقتضيات الموقف، وتتأثر بالخبرات المتعددة التي يتعرض لها الفرد، وتتطور مثلما يتطور أي سلوك إنساني.

والعواطف تحرك السلوك وتوجهه، ولها فوائد ووظائف مختلفة، فهي تثير، فهي تثير الأفراد وتساعدهم في تنظيم خبراتهم، وتوجه نشاطهم وتحافظ على استمرارية النشاط، وتوحي للأخريين بأنواع الإنفعالات التي من المتوقع أن يقوم بها الأفراد.

كما أن للعواطف طابع حركي، إذ أنها تحرك السلوك وتوجهه خاصة في حالة الإنسان وتتميز خبرات الإنسان العاطفية بدرجة من التعقيد، إلا أنها مفيدة لأنها تثيرنا وتساعد في تنظيم خبراتنا ، وتوجه نشاطنا وتحافظ عليه.^{١٤}

المبحث الثالث : لمحة عن نبي الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام^{١٥}

أ. نسبه

ذكر المؤرخون لإبراهيم نسبا متصل الحاقات بنوح عليه السلام : فهو إبراهيم بن آزر بن ناحور بن سروج بن رعو بن فالج بن عابر بن شالح بن أرفكشاذ بن سام بن نوح عليه السلام. وبهذا يكون نوح هو الجد التاسع لإبراهيم عليهما السلام. وتذكر التوراة أنَّ اسم أبيه ((تارح))، وقد جاء اسمه في القرآن الكريم ((آزر)) وذلك في قوله تعالى : ((وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة)) الأنعام ٧٤.

وهو الصحيح الضي نأخذ به، نظر لوروده في القرآن الكريم وهو المهيمن على ما قبله من الكتب، والمنزه عن التحريف والتبديل، وقد أيد ذلك ما جاء في الحديث الذي رواه البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((يلقلا إبراهيم أباه (آزر) يوم القيامة، وعلى وجه آزر فترة وغبرة، فيقول له إبراهيم : ألم أقل لك تعصيني، فيقول له أبوه : فاليوم لا أعصيك ... فيقول إبراهيم : يا رب إنك وعدتني ألا تخزني يوم يبعثو، وأي خزي من أبي إلا بعد؟ فيقول الله : إني حرمت الجنة على الكافرين، ثم يقول إبراهيم : انظر ما تحت رجلك، فينظر فإذا هو بذبح متاطخ، فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار ...)) فهذا الحديث نص في أنَّ اسم أبيه (آزر) وهو الحق الذي لا محيد عنه.

^{١٤} د. عماد عبد الرحيم وعلى فالج، مدخل إلى علم النفس، (الإمارات العربية المتحدة : دار الكتاب الجامعي، ٢٠١٤) ط ٢ ص

^{١٥} محمد ربوستين، خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم عليه السلام، (مصر : مكتبة الأمانة، ١٩٩١) ص ١٦-٢١

قال ابن جرير : والصواب أن اسم أبيه آزر، وما قاله النسابون من أن اسمه تارح فقد يكون له اسمان كما لكثير من الناس، أو يكون أحدهما لقباً. والظاهر حينئذ أن يكون تارح هو اللقب، لأن معناها المتكاسل، وهو لقب قبيح قلما يطلقه أحد ابتداءً على ولده، وإنما يطلق مثله على المرء بعد ظهور معناه فيه أو رمية به.

ب. ولادته ونشأته

ولد إبراهيم عليه السلام في بلدة (فدان آرام) ببابل بالعراق ١٩٩٢ قبل ميلاد المسيح عليه السلام، وذلك بعد أن بلغ والده من العمر ٧٥ سنة، وكان هو الولد الأكبر لآزر، وجاء من بعده أخوان (ناحور) و(هاران) وهو والد (لوط) عليه السلام.

وتذكر كتب الروايات وبعض التفاسير في ولادته أخباراً عجيبة. منها أن أمه خرجت ليلاً وولدت في مغارة في الجبل وأخذت وتعهده، ومنها إدخال أبيه له السرب وهو رضيع وخروجه منه بعد أيام ليجادل قومه في عبادة الكواكب. وهذه إسرائيلية لا وزن لها بين الروايات الصحيحة. قال ابن كثير : وما قصه كثير من المفسرين وغيرهم — من أخبار ولادته ونشأته — فعامتها أحاديث بنى إسرائيل، فما وافق منها الحق مما بأيدينا عن المعصوم قبلناه لموافقة الصحيح، وما خالف شيئاً من ذلك ردناه، وما ليس فيه موافقة ولا مخالفة نجعله وقفاً... وكثير من ذلك مما لا فائدة فيه ولا حاصل له مما ينتفع به في الدين. ولو كانت فائدته تعود على المكلفين في دينهم لبنته هذه الشريعة الكاملة الشاملة.

كان أهل بابل ينعمون برعد العيش، ويتفئون ظلال النعمة، ولكنهم كانوا يتخبطهم في دياجير الضلال، يعبدون الأصنام التي ينحتونها بأيديهم، ويعظمون ملكهم نمرود بن كنعان الذي نصب نفسه لها وأمرهم بعبادته. وكان والد إبراهيم (آزر) نجاراً يصنع الأصنام ويبيعها القوم، ويعطيها في بعض الأحيان لولده إبراهيم كي يبيعها للناس، فكان إبراهيم يحملها ويسير في الأسواق ويقول من

يشتري ما يضره ولا ينفعه، فلا يشتريها منه أحد، ثم ينطلق بعد ذلك إلى الماء ويغمس رءوسها فيه ويقول : اشربي.

في هذه البيئة المفعمة بالفساد نشأ إبراهيم عليه السلام، نشأة تختلف عن أبناء جيله، لأن الله تعالى يعجه لحمل رسالته إلى قومه، فكان مبغضا للأصنام، موقنا أنها لا تنفع ولا تضر ولا تصلح لأن تكون لها يعبد، إنما الله هو خالق الكون ورب العالمين من بيده النفع والضرر، والحياة والموت، والغني والفقير، المرض والشفاء، والرحمة والعذاب، وإليه المرجع المآب.

تزوج إبراهيم في شبابه بسارة وعاش معها، وكانت عاقرا لا تلد، فظل سنين طويلة لم يرزق منها ذرية، حتى أذن الله بذلك فوهبه منها اسحاق عليه السلام بعد هجرته بمدة طويلة.

ج. بعثته

أرسل الله تعالى رسوله إبراهيم عليه السلام إلى قومه يدعوهم إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له. ويخرجهم من الظلمات إلى النور، ويردهم عن عبادة الأصنام والكواكب التي لا تنفع ولا يضر.

د. هجرته

ظل القوم في طغيانهم وضلالهم، لم تجد معهم موعظة، ولم تنفعهم نصيحة، وازداد عداؤهم وإيذاء لإبراهيم عليه السلام، ومن ثم قرر الهجرة فرارا بدينه، ليتمكن من عبادة ربه والدعوة إليه في مكان آمن ((وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين)).

رحل إبراهيم إلى أرض فلسطين ومعه زوجته سارة وابن أخيه لوط كما جاء في قوله تعالى ((فأمن له لوط وقال إني مهاجر إلى ربي أنه هو العزيز الحكيم)) وعاشوا في فلسطين فترة من الزمان ينعمون بالأمن والإطمئنان.

ثم خرج إبراهيم من فلسطين لقحط أصحاب البلاد، وولى وجهه شطر مصر، فأقام ما شاء الله له أن يقيم، ورجع منها بالرزق الوفير والخير والكثير، واستقر ثانية في فلسطين مع الفئة القليلة التي آمنت به واستجابت لدعوته.

وكان ملك مصر قد أهدى (سارة) جارية مصرية تسمى (هاجر) فبنى بها إبراهيم عليه السلام، وولدت له اسماعيل سنة ١٩١٠ قبل الميلاد، وخرج إبراهيم بهاجر واسماعيل وأسكنهما بوادي مكة في المكان الذي أقام فيه بيت الله الحرام بعد ذلك، ورجع إلى فلسطين بعد أن دعا الله قائلا ((ربنا أني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرونا)).

وأقام إسماعيل وأمه بهذا الوادي الجنيب، وشاءت إرادة الله تعالى أن يعمر المكان، فنبعت زمزم المباركة، وأقبل الناس لعيش حولها، والتنعيم بمائها، وجاء إبراهيم بعد ذلك لزيارة ولده اسماعيل، فرأى أن الله يأمر بذبحه وهو ابنه الوحيد، فاستجاب لأمر الله تعالى، وهو بفعل ما أمره الله به، فأنزل الله تعالى الفداء العظيم الذي نجي اسماعيل عليه السلام ليتناسل منه النسل الكريم الذي توج بخاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم.

وفي إحدى الزيارات بوأ الله تعالى لإبراهيم مكان البيت فرفع قواعده بمعاونة اسماعيل، وأذن في الناس بالحج إليه استجابة لأمر الله تعالى الذي جعله مثابة للناس وأمنا.

وشاعت إرادة الله تعالى أن تحمل (سارة) ويرزق الله إبراهيم منها بإسحاق عليه السلام سنة ١٨٩٦ قبل الميلاد، وهو أصغر من اسماعيل بأربعة عشر سنة. وكان ذلك بعد حادث الفداء الذي وقع لاسماعيل عليه السلام. واكتملت النعم على إبراهيم بهبة الأولاد بعد الكبر، وقد أثنى على الله تعالى وحمده على ذلك ((الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحاق إن ربي لمسيح الدعاء)).

وتوفى إبراهيم عليه السلام سنة ١٧٧٣ قبل الميلاد، ودفن في مغارة المكفلية في حبرون (بلد الخليل) أما اسماعيل عليه السلام فتوفى في مكة المكرمة ودفن في الحجر الذي حول الكعبة. وأما اسحاق عليه السلام فتوفى في فلسطين ودفن مع أبيه بمغارة المكفلية.

